الجمعة ١٤٢٦/١٠/٩ هـ

الجزء السادس – الخطبة رقم ٧

من طرق نصرة أهل السنة - ١

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. الحمد لله الذي يسر ما كان عسيرا، وقرب ما كان بعيدا، وهيأ لنا من أمرنا رشداً، الحمد لله يعطي من يشاء بفضله، ويمنع من يشاء بعدله، ولا يظلم ربنا أحدا. له الحمد كله، وله الشكر كله، وله الثناء كله، وإليه يرجع الأمر كله. والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد الذي أمر فائتمر وبادر، ونهي فانتهى ولم يتوان، ابتلي فصبر، وأعطي فشكر، وكان أتقى الناس لربه وأحبهم إليه، وأكثرهم له ذكرا واستغفارا وإنابة. أما بعد:

فمعاشر المسلمين: لقد جعل الله تعالى بعثة النبي صلى الله عليه وسلم سببا في دعوة الناس إلى خير الدنيا والبرزخ والآخرة، استنارت بدعوته قلوب من اتبعه وآمن به، بعد ظلام دامس وليل سرمدي، تهذبت بدعوته القلوب، وانجلت غشاوات عن الفطر، فجزاه الله عنا خير ما جزى نبيا عن أمته، ورضي الله تعالى عن أصحابه الذين زكت نفوسهم، وخلصت نياتهم، بتوفيق الله تعالى ثم باستجابتهم لدعوة الحق، بذلوا مهج أرواحهم، ونفيس أموالهم في نشر دعوة الحق ودعمها والدفاع عنها، فكانوا رضي الله تعالى عنهم مفاتيح للخير مغاليق للشر، لزموا كلمة التقوى، فكانوا أحق بها وأهلها. ولجليل شأنهم وعظيم أمرهم كان من صلاح دين المرء أن يتقرب إلى الله تعالى بمحبتهم، وأن يحذر من القدح في آحادهم، فضلا عن جماعتهم، فحبهم دين وإسلام وإحسان، و بغضهم كفر ونفاق وطغيان، كما قرر ذلك أهل العلم رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، ورحم الله تعالى من سار على منهج ذلك الرعيل الأول الطيِّب المُطَيَّب واقتفى أثرهم. وعلى رأس أولئك المتبعين لمنهج الصحابة رضي الله تعالى عنهم أئمة العلم الذين كانوا خير خلف لخير سلف؛ فتوارثوا حمل تبليغ العلم وحمل إيضاحه للناس، تنوعت جهودهم إلا أنهم إلى نصوص الشريعة يردون وعنها يصدرون، يتبعون ولا يبتدعون ولسان حالهم ومقالهم "سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير"، أخلصوا عملهم لله تعالى ودعوا الناس على بصيرة، فتسابق الناس إلى حلقهم ومجالسهم ينهلون من معينهم ويستنيرون بنور دعوتهم التي تسقى بمشكاة النبوة، وما زال أمر الناس مستقيما على منهج السنة وأئمتها حتى نبتت نبتة أهل الأهواء الذين شرقت صدورهم بضياء السنة فقاموا وقعدوا، وأقبلوا وأدبروا، فقام لهم أئمة السنة فردوا بدعهم ودحضوا حججهم حتى أخمدوها، وكروا على نارهم فأطفئوها، إلا أن من حكمة الله تعالى تداول الأيام والليالي، واصطراع الحق والباطل؛ فكلما قام دعاة البدع لنشرها قيض الله تعالى من أهل السنة من يكشف عوار تلك البدع، وردها وأصحابها ظهريا.

قال الإمام اللالكائي رحمه الله تعالى:(ثم إنه لم يزل في كل عصر من الأعصار إمام من سلف أو عالم من خلف قايم لله بحقه وناصح لدينه فيها؛ يصرف همته إلى جمع "اعتقاد أهل الحديث" على سنن كتاب الله ورسوله وآثار صحابته، ويجتهد في تصنيفه ويتعب نفسه في تهذيبه رغبة منه في إحياء سنته وتجديد شريعته وتطرية ذكرهما على أسماع المتمسكين بهما من أهل ملته أو لزجر غال في بدعته أو مستغرق يدعو إلى ضلالته أو مفتتن بجهالته لقلة بصيرته) انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

معاشر المسلمين: وإذا كان ذلك كذلك، فحري بالمسلمين عموما – وبطلبة العلم خصوصا – العناية بمصنفات أهل السنة عموما، وفي الفقه الأكبر خصوصا، لما لها من عظيم النفع المتعدي على من كتبها وعلِمها وعلَّمها ودافع عنها. ولما كان من المقرر عند أهل العلم أن الأجر يزيد ويتضاعف بحسب النفع، كان هذا الوقت من أهم الأوقات للمضاعفة من نشر مذهب أهل السنة والجماعة، ذلك لأن العداء لأهل السنة عام وخاص، فالعام ما كان من جهة الحاقدين على الإسلام من غير أهله من سائر الملل، والخاص ما كان من جهة أعداء السنة من سائر النِّحل؛ فحصوننا مهددة من داخلها وخارجها، تطاولت رؤوسٌ، واشرأبَّت أعناق، ولبس قوم ثياباً أوسع منهم، وتشبَّعوا بما لم يعطوا، فرموا كتب أهل السنة عن قوس واحدة، تارة لآحادها، وتارة لجميعها أو مجملها، فزعموا أنها تفرِّق ولا تجمع، وتهدم ولا تبني، وتفسد ولا تصلح، كبُرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا، وصدق من قال:

ما يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

عجب لا ينقضي من حال قوم ظنوا الدواء دواء، والماء سرابا، فنفخوا في رماد، وأرادوا حجب ضياء الشمس عن الكون بالأكف والثياب، وجاء قوم زعموا أن إصلاح حال المسلمين لا يكون إلا بالتغاضي عن الأصول العقدية، أرادوا علاج الزكام فأحدثوا داء الجُذام، وهل هذا إلا من تنكس الفطر، واختلال العقول، فلا للإسلام نصروا، ولا لأعدائه كسروا، بل للإسلام كسروا ولأعدائه نصروا، شعارات باسم الإسلام تُرفع، وغايات باسم النصر تُقصَد، وأنى لهم ذلك وقد خالفوا طريق النصر؟! بل سلكوا نقيضه.

شاهد المقال ومحط الركب وبيت القصيد: أن من رام نصر الإسلام وعزة المسلمين بغير منهج أهل السنة والجماعة فإنما يزيد الجرح ألماً، والجناية سراية، فقوله تعالى:"لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا"، وقوله تعالى:"إن تنصروا الله ينصركم" يقطع قول كل خطيب، فلا نصر ولا تمكين إلا بنصر الله وفق سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على منهج سلف الأمة. ورحم الله الإمام مالكاً عندما قال قولته المشهورة:(لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها).

معاشر المسلمين: وفي هذه الأزمنة المتأخرة كثر دعاة البدع وناشرو الضلالة وساعدهم على ذلك وسائل الإعلام المتنوعة، فحري بأهل السنة عموما وحملة العلم خصوصا العناية بنصرة مذهب أهل السنة والدفع عنه والتعبد لله تعالى بذلك، فذلك من أعظم الطاعات، وكيف لا يكون ذلك ومذهب أهل السنة هو منهج الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله تعالى عنهم ومن سلك سبيلهم واقتفى أثرهم.

اللهم أحينا على الإسلام والسنة، وأمتنا على الإسلام والسنة. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله ...

معاشر المسلمين: ولنصرة مذهب أهل السنة طرق كثيرة، ومن طرق نصرة مذهب أهل السنة إشهار سير أئمة السنة من السابقين واللاحقين وتعريف الناس بهم وبخاصة الناشئة لتكون نشأتهم على محبة السنة وأهلها.

معاشر المسلمين: ومن طرق إشهار أئمة السنة إبراز سيرهم للناس من خلال الكتب والندوات والمحاضرات، وكذا في إبراز أسمائهم على المساجد والمدارس والشوارع وغير ذلك مما يرسخ محبتهم وعلو شأنهم في نفوس الناظرين والسامعين والقارئين وذلك مما يحبب السنة إلى نفوس الكثير، وفي المقابل تحذير الناس من دعاة البدع والقادحين في السنة وأهلها. قال الإمام الصابوني رحمه الله تعالى:(وإحدى علامات أهل السنة حبهم لأئمة السنة وعلمائها وأنصارها وأوليائها، وبغضهم لأئمة البدع الذين يدعون إلى النار ويدلون أصحابهم على دار البوار، وقد زين الله تعالى قلوب أهل السنة ونورها بحب علماء السنة فضلا منه جل جلاله ومنّه...) ثم سرد رحمه الله تعالى أسماء كثير من أئمة السنة منهم مالك والثوري وشعبة وابن المبارك ووكيع بن الجراح وغيرهم كثير.

معاشر المسلمين: ومن طرق نصرة السنة - وهو متعلق بما قبله - الدفاع عن أئمة السنة وأهلها وذلك برد القدح فيهم وذكر جميلهم وما لهم من المعروف والفضل في خدمة السنة ونشرها ونصرها، ويتأكد هذا الدفع عنهم إذا كان القادح فيهم ممن عرف أو كان مقصده نصرة البدع وذم السنن، ولذا كان من موازين أهل العلم في بيان صاحب السنة من صاحب البدعة محبة صاحب السنة. قال قتيبة:(إذا رأيت الرجل يحب أهل الحديث مثل يحيى بن سعيد وعبدالرحمن بن مهدي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه – وذكر قوما آخرين - فإنه على السنة ومن خالف هؤلاء فاعلم أنه مبتدع). وقال عبدالرحمن بن مهدي:(إذا رأيت بصرياً يحب حماد بن زيد فهو صاحب سنة) وذلك لأن حماد بن زيد كان من سكان البصرة. وقال ابن مهدي أيضاً:(ابن عون في البصريين إذا رأيت الرجلَ يحبه فاطمئن إليه، وفي الكوفيين مالك بن مغول وزايدة بن قدامة إذا رأيت كوفياً يحبه فارج خيره، ومن أهل الشام الأوزاعي وأبو إسحاق الفزاري، ومن أهل الحجاز مالك بن أنس) فلا إله إلا الله ما أشبه الليلة بالبارحة، فهذا الميزان أدق من ميزان الذهب في فحص الناس، ولتقارب موت ثلاثة من أئمة السنة في العصر يقال تطبيقاً لتلك القاعدة:(إذا رأيت الرجل يحب ابن باز وابن عثيمين والألباني فاعلم أنه صاحب سنة، وإذا رأيت الرجل يبغض ابن باز وابن عثيمين والألباني وينتقصهم ويقدح في منزلتهم وعلمهم وعقيدتهم فاعلم أنه فيه خللا كبيرا واحذره على دينك). واجعل هذه القاعدة أعني محبة أهل السنة منهجاً، ولذا كان القادح مثلا في ابن تيمية وابن القيم وقبلهما أحمد وغيرهم من إخوانهم وبعدهما الشيخ محمد بن عبدالوهاب؛ كان القادح فيهم يوصم بالبدعة لأن قدحه ليس متعلقاً بذواتهم وإنما متعلقاً بما حملوا من ميراث النبوة وتمثلوه في أنفسهم ومصنفاتهم، ومرد ذلك إلى القدح في أحكام الشريعة وحكمها لا إلى القدح في ذوات علمائها.

قال الإمام أبو عثمان الصابوني رحمه الله تعالى في مصنفه العظيم "الرسالة في اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث والأئمة" قال ما نصه:(وعلامات أهل البدع ظاهرة بادية، وأظهر آياتهم وعلاماتهم شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي صلى الله عليه وسلم واحتقارهم لهم، ثم ساق بإسناده إلى أحمد بن سنان القطان أنه قال {ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث، فإذا ابتدع الرجل نزعت حلاوة الحديث من قلبه} وساق بإسناده أيضاً إلى أبي حاتم الرازي رحمه الله تعالى أنه قال:{علامة أهل البدع: الوقيعة في أهل الأثر})

اللهم اجعلنا بالكتاب عاملين، وللسنة متبعين وعلى منهج السلف سائرين. اللهم وفق من ضل من المسلمين وحكامهم لسلوك منهج سلف الأئمة.